

بحار الأنوار

[317] قوله عليه السلام أضاء بنوره كل ظلام الظلام إما محسوس بإضاءته بأنوار الكواكب والنيرين، أو معقول وهو ظلام الجهل بإضاءته بأنوار العلم والشرائع قوله: وأظلم بظلمته كل نور إذ جميع الأنوار المحسوسة أو المعقولة مضمحلة في نور علمه، وظلام بالنسبة إلى نور براهينه في جميع مخلوقاته الكاشفة عن وجوده، وقال ابن أبي الحديد: تحت قوله عليه السلام معنى دقيق وسر خفي وهو أن كل رذيلة في الخلق البشري غير مخرجة عن حد الإيمان مع معرفته بالأدلة البرهانية، غير مؤثرة نحو أن يكون العارف بخيلاً أو جباناً، وكل فضيلة مع الجهل به سبحانه ليست بفضيلة في الحقيقة، لأن الجهل به يكشف تلك الأنوار نحو أن يكون الجاهل به جواداً أو شجاعاً. ويمكن أن يكون الظلام والنور كنايةيتين عن الوجود والعدم، ويحتمل على بعد أن يكون الضمير في قوله: بظلمته راجعاً إلى كل نور لتقدمه رتبة فيرجع حاصل الفقرتين حينئذ إلى أن النور هو ما ينسب إليه تعالى فبتلك الجهة نور، وأما الجهات الراجعة إلى الممكنات فكلها ظلمة. 41 - نهج: في وصيته للحسن المجتنبى صلوات الله عليهما: واعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لانتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه، لا يضافه في ملكه أحد، ولا يزول أبداً، ولم يزل أو لا قبل الأشياء بلا أولية، وآخرها بعد الأشياء بلا نهاية، (1) عظم عن أن تثبت ربوبيته بإحاطة قلب أو بصر. 42 - نهج: من خطبة له عليه السلام الحمد الذي انحسرت الأوصاف عن كنه معرفته، وردعت عظمته العقول فلم تجد مساعياً إلى بلوغ غاية ملكوته، هو الحق المبين، أحق وأبين مما تراه العيون، لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبهاً، ولم تقع عليه الأوهام بتقدير فيكون ممثلاً، خلق الخلق على غير تمثيل ولا مشورة مشير، ولا معونة معين، فتم خلقه بأمره، وأذعن لطاعته فأجاب ولم يدافع، وانقاد ولم ينازع. 43 - نهج: من خطبة له عليه السلام: كل شيء خاشع له، وكل شيء قائم به، غنى

(1) في نسخة: أول قبل الأشياء بلا أولية، وآخر

بعد الأشياء بلا نهاية.